أجرى المقابلة: الطيب غنايم (*)

مقابلة خاصة مع الأديب ومحرّر ملحق "ثقافة وأدب" في صحيفة "هآرتس"

بيني تسيفر: يجب أن يصطدم الإسرائيليون بمآسي الفلسطينيين كي ينكسر روتين حياتنا اليوميّة!

يتناول الأديب بيني تسيفر، محرّر ملحق «ثقافة وأدب» في صحيفة «هـآرتس»، في هذه المقابلة الخاصة عدة مواضيع تتعلق بالواقع الراهن في إسرائيل وتأثير الثقافة فيه. ويؤكد أن الثّقافة في إسرائيل شأنها شأن السياسة تنقسم إلى تيارين مركزيّين كبيرين: الأوّل هو تيّار الثّقافة الرّسميّ الذي يؤمن أن وظيفة الفنّان، الكاتب، الشّاعر، الرّسام وإلخ هي خدمة الدّولة والمجتمع، حتّى عبر التّجنّد لهذا الهدف. والتّيّار الثّاني، وهو التّيّار الأقلّ مركزيّة، تيّار الثّقافة غير المركزيّة أو الهامشيّة، التي لا تريد بتاتًا أن تنتسب إلى التّيّار المركزيّ، ولا تريد أن تساهم ببناء أيّة مؤسّسة أو قيمة. وقد بدأنا المقابلة بسؤاله عن رأيه في الواقع السياسي المترتب على الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني.

(*)

قضايا إسرائيلية: لربّما نبتدئ من نقطة لا ترتبط بك مباشرة، بل بزملائك في القلم، وعلى سبيل المثال ما حَدَثَ مؤخّرًا مع الصّحافيّة عميره هس التي أدلت بتصريحات، بشأن حقّ الفلسطينيّين بإلقاء الحجارة كجزء من نضالهم الشّرعيّ، الأمر الذي أثارَ جدالاً واسعًا وحادًّا بهذا الصّدد، وبشأن الخطّ الذي تتبنّاه صحيفة هـآرتس؟

تسيفر: أنا شخصيًّا، في أحيان غير قليلة، أَجِدُ نفسي متماهيًا مع ما تكتبه الصّحافيّة عميره هس، وخصوصًا حينما أُسَافِرُ بنفسي إلى مناطق وبلدات الضّفّة الغربيّة، إذ أجدني ماثلاً أمام حالات مزرية، غير إنسانيّة، مواقف محرجة، في الجانب الفلسطينيّ، وحينها أقول: «هي على حقّ، هي على صواب، هي على حقّ إلى حدٍّ بعيد».

يقطع تسيفر ادّعاءَهُ هذا، بصدق مُخَيِّب للآمال:

نعم، أنا أقرّ وأعترفُ أنني ممّن كلّوا وملّوا هذا الخطاب؛ إذ لا يمكننا أن نقبض على الجمرة وأن نواصل احتراقنا طيلة الوقت. يمكنك أن تجد أُناسًا وكتّابًا يملكون هذه الطّاقة وهذه القدرة على الرؤية وعلى الرؤيا وعلى المواظبة في برنامجهم السّياسيّ. عميره هس هي أحد الأسماء البارزة في هذا المجال، لا تكلّ ولا تملّ من هذه الزاوية. لكنني أعتقدُ أنَّ تأثير ما تكتبه لن يكون حقيقيًا، ولا مرّة، دون أن يرى النّاس هذه المآسي وهذه الصّعاب الفلسطينيّة، يجب أن يصطدموا بهم، بقصّة شخصيّة لفلسطينيّ، أن يروهم عن قرب وعن كثب، كي يدرك الإسرائيليّون مدى الإجحاف الذي يلحقه الاحتلال بالشّعب الفلسطينيّ.

«ولكن، حينما أنتهي من زيارتي، وأعود أدراجي إلى بيتي داخل إسرائيل، إلى عملي، إلى روتيني اليوميّ، ككثير من الإسرائيليّين، فأقول حينها: ها هم الفلسطينيّون يغيظوننا مرّة أخرى، ها هم يتباكون، ماذا يريدون منّا؟

قضايا إسرائيلية: غريب أن أسمَعَ اعترافًا من هذا القبيل من شخص مثلك وفي مثل مكانتك وموقفك؟

تسيفر: صحيح، ربّما لكوني أكثَرَ استقامةً وصراحَةً من غيري، كل ما في الأمر أنّني، دون تزييف، أُقِرُ وَأَعْتَرِفُ أنّني مرهق ومتعب ومنهك ولا طاقة لي لاستمرار قصّتنا الدّمويّة غير المنتهية، والتي تبدو كَأَزَلٍ سحيق، ككثير من الإسرائيليّين الذين كان باستطاعتهم أن يكونوا أكثَرَ يساريّةً ممّا هم عليه الآن، لولا تعبهم وإرهاقهم من هذا الخطاب المُعَاق السّائد.

قضايا إسرائيلية: لكن التّعب والإرهاق والاستنفاد هي ما أرهق اليسار الإسرائيليّ؟ هل وقعتَ في ذات الفخّ؟

تسيفر: نعم، أنا أقرّ وأعترفُ أنني ممّن كلّوا وملّوا هذا الخطاب؛ إذ لا يمكننا أن نقبض على الجمرة وأن نواصل احتراقنا طيلة الوقت. يمكنك أن تجد أُناسًا وكتّابًا يملكون هذه الطّاقة وهذه القدرة على الرؤية وعلى الرؤيا وعلى المواظبة في برنامجهم السّياسيّ، عميره هس هي أحد الأسماء البارزة في هذا المجال، لا تكلّ ولا تملّ من هذه الزاوية، لكنني أعتقدُ أنَّ تأثير ما تكتبه لن يكون حقيقيًّا، ولا مرّة، دون أن يرى النّاس هذه المآسي وهذه الصّعاب الفلسطينيّة، يجب أن يصطدموا بهم، بقصّة شخصيّة لفلسطينيّ، أن يروهم عن قرب وعن كثب، كي يدرك الإسرائيليّون مدى الإجحاف الذي يلحقه الاحتلال بالشّعب الفلسطينيّ. هذه الوساطة، وساطة الصّحافيّ الذي يمنحنا تقارير ومعلومات عن الفلسطينيّين، على الرّغم من أنّها مثيرة للاهتمام وللانطباع، إلاّ أنّها غير كافية بتاتًا لكسر روتين حياتنا اليوميّة. لا أعلم، لا أدري، ربّما هذا هو قدرنا، غالبيّة الناس البسطاء والعاديّين ليس بمقدورهم بعد تحمّل هذا العبء المُثْقِل، ومن هنا يطوّرون تقنيّات للهروب من هذا الواقع، كادّعاءاتهم أنّ الفلسطينيّين يبالغون، وأنّ اليسار يتطاول، وأنّ كلّ الأمور مسيّسة.

إذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، الفيلم «٥ كاميرات مكسورة»، والحوارات الصّحافيّة التي أجراها المخرج الإسرائيليّ، جاي دفيدي، في الإعلام الإسرائيليّ، من على شاشات التّلفزيون، في الإذاعات، في الصّحافة المكتوبة نرى أنّه أثار جدالاً محتدمًا، لكن ما جدواه؟ حيث في نهاية المطاف تسأَلُ نفسك: «طيّب وبعدين؟!». حتّى أنا، تعبت وأُرهقت وأُنهكت من هكذا منظومة لا تُودِي إلى أيِّ حلٍّ، ولا إلى أيِّ مكان إيجابيّ آخر. أتساءل، ما الجدوى، وإلى أين نحن ذاهبون؟ تريد أن تقفل التلفزيون وأن تذهب لشأنك.

قضايا إسرائيلية: ألا ترى ذلك الجانب أو تلك الزّاوية التي من شأنها أن تثير أسئلة لدى المواطن/المشاهد الإسرائيليّ وتقود بصعوبة إلى نوع من التّشاوم، الحلّ أو الضّوء من آخر النّفق؟

تسيفر: لا أعتقد ذلك، أعتقد أنّ هذه المناطق تدعو للتَعَب، وتثير الإنهاك ولا تودي إلى أيّ مكان. ذلك لا يتنافى مع رأيي أنّ عمل هذه الطّواقم وهؤلاء الأشخاص هو عمل مهمّ، لا يستهان به، وهو عمل يمكنني أن أقول إنّه يحضّ على الوعي، عبر نارٍ هادئة تشتعل طيلة الوقت.

مبدئي بسيط جدًا، استقيته من الثّقافة الفرنسيّة، وهو مبدأ الشّكّ، يتوجّب فحص واختبار كلّ شيء، مبدأ وفكرة، حتّى ما أنت مقتنع به، حيث يجب عرض وطرح خطّ مناف، معارض ومغاير للتفكير، ولو لغرض الاستفزاز! يُلزِمُنَا مبدأ الشّكّ أن نكفر بكلّ معتقداتنا، ولو لوهلة، بغية اختبار إذا ما كنّا نؤمن بأشياء جديرة أم لا. الشّكّ حتّى في قلب الإجماع، وأيضًا إجماع اليسار، من يُعْتَبَرُون أُنَاسًا طيّبين/جيّدين.

قضايا إسرائيلية: يعني، لا صحوةَ تأتي بعد هكذا تقارير ومقالات؟

تسيفر: صحوة، بالطّبع لا، حيث يجب أن نتساءَلَ كم من النّاس يقرؤون صحيفة «هـآرتس»، وكم من قرّاء صحيفة «هـآرتس» يتابعون مقالات وتقارير عميره هس وجدعون ليفي؟ لكن من يقرأ مقالاتهم عن الأوضاع الاجتماعيّة، السّياسيّة والاقتصاديّة في الضّفّة، يتمزّق قلبه. لا أقلّل من قيمة هؤلاء الكتّاب، في الوقت الذي أدّعي فيه بذات الآن أن التّأثير الحقيقيّ لهذه المواد محدود وضئيل جدًا، وهذه حقائق هم أنفسهم يوافقوني عليها. الجمهور ليس بغير مكترث، ولكنه مرهق.

قضايا إسرائيلية: يمكننا الادّعاء بأنّ النّقد هو المحرك الرّئيس لموادك، لكتاباتك، خصوصًا في مدوّنتك وزاوية مقالاتك النّقديّة-الاجتماعيّة التي تنشرها في «هـآرتس»؟ نقد الإسرائيليّة، الأنا والآخر؟

تسيفر: مبدئي بسيط جدًا، استقيته من الثّقافة الفرنسيّة، وهو مبدأ الشّكّ، يتوجّب فحص واختبار كلّ شيء، مبدأ وفكرة، حتّى ما أنت مقتنع به، حيث يجب عرض وطرح خطّ مناف، معارض ومغاير للتفكير، ولو لغرض الاستفزاز! يُلْزِمُنَا مبدأ الشّكّ أن نكفر بكلّ معتقداتنا، ولو لوهلة، بغية اختبار إذا ما كنّا نؤمن بأشياء جديرة أم لا. الشّكّ حتّى في قلب الإجماع، وأيضًا إجماع اليسار، من يُعْتَبَرُون أُنَاسًا طيّبين/جيّدين. فعلى سبيل المثال، آتي لكَ بمثال حادّ ومؤلم وجيّد للتوضيح، حالة الشّاعر والكاتب اسحق ليئور الذي أُكِيلَت إليه الاتّهامات بشأن تحرّشات جنسيّة. ما كان منّي إلاّ أن أكون مدافعًا ومحاميًا عنه، وذلك ليس من نابع الحبّ، بل لأنّ هذه طريقتي، أليس من المحتمل بمكان أن تكون ادّعاءاتهم غير صحيحة، أليس من الاحتمال أن تكون تلك الادّعاءات من قبل المرأة المُتَّهِمَة خليقة وهمها؟

تطوّر الأمر ووصل إلى «مجلس الصّحافة» وإلى «لجنة الأخلاقيّات الصّحافيّة»، وما إلى هنالك، أي أنّ ما كتبته أثار صخبًا هائلاً. ليس كلّ ما أكتبه يثير مثل هذا الصّخب، إلاّ أنّ طريقتي وتوجّهي متشابهان في كافّة كتاباتي، أن أتطرّق إلى شي من قلب الإجماع الإسرائيليّ المفهوم ضمنًا، لأكفُرَ به، بغية اختبار مصداقيّته، وبكلمات مجازيّة، أقوم بقلب المِعْطَف، لأرِي إذا كانت بطانته الدّاخليّة تنفع لتكون غِشَاءً خارجيًا. كل أمر يحتمل الطّرف الثّاني لذاته، لنناقشه. أليس كذلك؟

قضايا إسرائيلية: تُحَاوِلُ دومًا ذبح «البقرات المقدّسة» في الثّقافة

«فجأةً، يرنّ هاتفي الجوّال. أحدهم يسألني إذا ما كنتُ شاهدًا على أنّ فلانًا، الذي يتّهمونه بتحرّش جنسيّ، قام بتحرّش كهذا بحضوري. أجبتُ السّائل عن طريق ذِكْر رواية أ.م. فورستر «رحلة إلى الهند». في هذه الرّواية يدورُ الحديث عن امرأة تتوق لفانتازيا أن يغتصبها مرافقها الهنديّ، وهذه الفانتازيا تصير ملموسةً، حيث باتت تشعر بالفعل، عن اقتناع، أن مرافقها الهنديّ اغتصبها. تجري محاكمة بهذا الشأن، وأثناء هذه المحاكمة ترى في صميمها أنّها أُغْتُصِبَت، على الرّغم أنّ لا أساس لما تدّعيه من الصّحّة. حدَّثْتُ صديقي يواخيم عن قضيّة التّحرّش الجنسيّ هذه. وخجلتُ من كون ما يثر النّاس في هذه البلاد هو تُرّهَات من هذا القَبِيل. أمام هؤلاء تُنفّذ إجحافات صغيرة وكبيرة وأعمال تخريبيّة ضدّ الفلسطينيّين، وهم مرهقون إلى درجة لا تُمَكِّنُهم من تحريك مؤخّراتهم والاحتجاج أو القدوم، ولو لمرّة واحدة للتظاهر في بلعين أو نعلين أو الشّيخ جرّاح. لكن حينما يمسّون، جنسيًا، امرأة بسوء، تراهم ينتصبون على قوائمهم الخلفيّة، حيث أنّ هذا أكثر سخونةً وإثارةً». [من مقالة تسيفر في «هـآرتس»]. ترجمة: ألطّيّب غ.

ثمّة أمر ما أزعجني في النّظريّات ما بعد الاستعماريّة، التي أسّس لها إدوارد سعيد بكتابه الاستشراق، على الرّغم من أهميّة كتابه ونظريّته. أزعجني أمر في هذه النّظريّة يصعب عليّ حتّى تفسير ماهيّته. من النّاحية الأخرى، أفهم ما اقترفته الكولونياليّة بحقّ الأُمَم التي استعمرتها، وأفهم المآسي التي حَلَّت بمن احتُلُّوا. من ناحية التّوجّه والرّؤيا، ستَجِدِني بين هاتين الضّائقتين، المفهوم النّظريّ وبين الواقع الحياتيّ

الإسرائيليّة؟

تسيفر: أحاول ذبحها بطريقة مُتوازنة، بمفهوم أنّني أتطرّق بنقدٍ لاذع للثقافة الإسرائيليّة المتواجدة في قلب الخطاب السّياسيّ-الرّئيسيّ-المهيمن-الوطنيّ-القوميّ وبين خطاب اليسار الذي يعتبره البعض أكثر نورانيّة من باقي الخنادق، فاليسار أيضًا يتبنّى خطًّا ومبادئ لا يشكّكون بها وبمدى مصداقيّتها وسلامتها؛ أي أنّ هذا العمى – الأشياء المقبولة والمفهومة ضمنًا – متواجد في كافّة أطياف الثّقافة الإسرائيليّة وفي جميع جوانبها. أحاول الاستفزاز بغية بلورة الفكر وصقله، بهدف الحضّ على التّفكير النّقديّ. ألا يحتمل الإجماع الخطأ؟

قضايا إسرائيلية: أَلَا يوجد في ذات المقالات التي تكتبها نبرة القاضي؛ أي من يحاول توزيع العلامات على الثّقافة الإسرائيليّة الرّاهنة؟

تسيفر: الشّحنة التّقييميّة في كتابتي تكمن في ادّعائي أنّ كلّ المؤمنين من جميع الأطراف، طالما لم يشكّكوا في معتقداتهم فهم مجرّد أشخاص غير واعين. أفيقوا قليلاً، وحاولوا أن تفهموا.

قضايا إسرائيلية: كيف يستفيقون على واقع هم أنفسهم يحاولون تجميله/التّنكّر له؟

تسيفر: حسن، لكن العقلانيّة تقوم بالأساس على مبدأ الشّكّ الذي تطرحه بما كنت تؤمن به حتّى اللحظَة، كامل الإيمان، أن تخطو خطوة إضافيّة تجاه الفكر السّليم. هذا بالطّبع، لا ينطلي على ملحق «الثّقافة والأدب» الذي أُحرّره، هذا ينطبق على زاويتي النّقديّة-الاجتماعيّة فقط. تختلف الأدوات بين الزّاويتين. حينما أكون في البيت، وأفكّر حول ماذا سأكتب لهذا الأُسبوع في زاوية النّقد الاجتماعيّ خاصّتي، أتناول أكثر الأحداث إثارة وأكثرها إجماعًا لأكفر بها وأحلّلها ليس وفق معايير القطيع. على سبيل المثال، قضيّة رئيس الدّولة موشيه قصاب، قضيّة يائير لبيد، الذي يرغبون الآن بألاّ يرغبونه، بسبب أقوال معيّنة تلفّظ بها. نجدُ لدى الإسرائيليّين ميلاً للتوجّه إلى المفهوم ضمنًا والتّماهي/الانتساب إلى القطيع، وبهذا السّياق أقولُ أن كثيراً من معتقدات الإسرائيليّين، السّياسيّة-الاجتماعيّة-الدّينيّة-القوميّة لا تأتي من منطلق القناعات بل من نابع اللجوء إلى القطيع والانتساب إليه الذي يُمْلِي عليهم «الزّاوية السّليمة للتفكير وللإيمان». أحاول تشخيص «الموضة» القطيعيّة وأحاول أن أفهمها بطريقة مغايرة ومن زاوية مختلفة. المفهوم ضمنًا جيّد أحيانًا بمفهوم معيّن، لكن القطيع والإجماع حتّى في هذه الأماكن الصّحيحة، يتبنّى الأفكار السّائدة والمهيمنة والمتواجدة في الموضة الفكريّة. أنا آت لأقوّض هذه المسلّمات وهذه الأمور «المفهومة ضمنًا».

قضايا إسرائيلية: موتيف الشرق والغرب، التّقاطع والتّنافر، التّجاذب والتّقاطب، وكتابك الأخير «نحن الشّرقيّين» يمثّل الأمر جيّدًا، حيث من الصّعب أن نجد لديك توجّهًا يتبنّى قطبًا معيّنا، شرقًا كانَ أم غربًا، وإنّما نجدك «تقفز» من باريس إلى عمّان، ومن إسطنبول إلى القاهرة، مزوّدًا «بنظّارات» غير مُعَدَّة سلفًا، بكلمات أُخرى، لا تفرض آراءً مسبقة بشأن الغرب أو الشّرق. كيف توصّلت إلى هذه المعادلة؟

تسيفر: بطريقة ما، على مرّ السّنين طوّرت رؤيا، مستوحاة من كتابات وكتب لأمثال جاكلين كاهانوف في نصّها «نحن الشّرقيّين»، (اسم الكتاب الأخير لتسيفر)، من الحركة الكنعانيّة التي حاولَت إيجاد قاسم مشترك بين كافّة الأطراف، عبر الرّجوع إلى الماضي ما قبل الدّينيّ لهذه المنطقة، ثمّة أمر ما أزعجني في النّظريّات ما بعد الاستعماريّة، التي أسّس لها إدوارد سعيد بكتابه الاستشراق، على الرّغم من أهميّة كتابه ونظريّته. أزعجني أمر في هذه النّظريّة يصعب عليّ حتّى تفسير ماهيّته. من النّاحية الأخرى، أفهم ما اقترفته الكولونياليّة بحقّ الأُمَم التي استعمرتها، وأفهم المآسي التي حَلَّت بمن احتُلُّوا. من ناحية التّوجّه والرّؤيا، ستَجِدِني بين هاتين الضّائقتين، المفهوم النّظريّ وبين الواقع الحياتيّ، في بادئ الأمر، قلت لا أريد تناول القضايا

وجهة نظري بشأن الفرق بين الشّرق والغرب أوّلاً، وجوب الابتعاد عن النّظريّات كما نبتعد عن النّار. محاولة رؤية الأمور كما هي عليه، وفي الواقع الأمور أكثر تركيبًا واندماجًا وانسلاخًا وتنافرًا وتناغمًا، ففي مصر يمكننا على سبيل المثال أن نجدَ الجانب الإيجابيّ الذي خلّفته الكولونياليّة، مثل دور الكتب الفرنسيّة، أمور تزرع الأمل والأحلام، مثلما أرى الجانب القبيح لهذه العمليّة. في نهاية المطاف تسأل نفسك، على الرّغم من أنني لا أدّعي أنّ الكولونياليّة جيّدة، هل حقًّا كان يجب التّعامل مع هذه الظّاهرة بهذه الطّريقة؟ كلّ فكرة الحريّة القوميّة والدّولة، جاءَت من الغرب، ومن هنا، هل كان يتوجّب على الشّرق تقبّل الكولونياليّة لكي يتغلّب على الكولونياليّة؟

من الوجهة النّظريّة، قلت في نفسي لا أريد أن أؤمن بأيّ شي يسوّقونه لي قبل اختباره وفحصه، لا نظريّات ولا وجهات نظر، الأمر تطوّر لديّ عبرَ الزّيارات والسّفرات التي قمت بها حول العالم، في الشّرق والغرب. بدأ الأمر عندي مع بداية سنوات الثّمانينيات، حينما باشرت التّواصل مع القاهرة، ومن قبلها مع إسطنبول، ومن منطلق موقع هويّتي المختلطة، لوالدين مختلطين، أشكنازي وسفارادي، ألمانيا وتركيا، وعبر ذلك تبلورت لديّ رؤية لا تستعلي على الشّرق، لكنها بذات الآن لا تعتبر الكولونياليّة أسوأ الأهوال والشّرور في العالم. محصّلة هذه الرّؤية هي هُجَانةٌ تقع في الوسط.

قضايا إسرائيلية: لم توضح عمليًّا ما هي إشكاليّتك مع «استشراق» إدوارد سعيد؟

تسيفر: لا مشكلة عندي مع كتابه ونظريّته، كلّ ما كَتَبه هو صحيح وسليم. إشكاليّة الأمر لديّ تكمن في ما فعلوه مع هذا الكتاب، وهنا أقصد الأجيال التي تربّت على هذا الكتاب وحوّلته إلى مقدّس؛ إذ إنّ نظريّة الامتناع عن مقاضاة مجتمع معيّن من الخارج أودَت بنا إلى حالات عبثيّة غير مُحْتَمَلة في حياتنا اليوميّة، فعلى سبيل المثال، في مجتمع تجد فيه قمعًا كبيرًا لنسائه، وفقًا لنظريّة سعيد، هذه هي قوانين، قيم ومعايير المجتمع ذاته، ويُمْنَع التّدخّل الخارجيّ فيه، لكن من النّاحية الأُخرى، يوجد تزييف كبير في اصطناعنا الحياديّة، فنحن حقًّا نؤمن بالحَدَاثَة. هل يجب تقديس الآخر لكونه آخر؟ لا يمكنني أن أتبنّى أيّ طرف، وهنا يكمن العبث، الحالة غير المعقولة التي لا تمكّنني من تبنّي طرف معيّن، خذ على سبيل المثال أوروبا التي تقع في هذه الصّراعات بشكل حادّ: أن تكون متسامحة تجاه الآخر الذي بداخلها، والذي بذات الآن هي نفسها تعاني منه، وبذلك تقع في مطبّ العبث لِتُطَوِّرَ كراهيّة تجاه هذا الآخر لأنها لا تتدخّل. هذه دوائر لا يمكننا الخروج منها بسلام. توقّفوا عن الإيمان بالنّظريّات المطلقة. الحياة الواقعيّة أكثر تركيبًا وتعقيدًا ممّا يبدو، وأكثر تعقيدًا من النّظريّة.

وجهة نظري بشأن الفرق بين الشّرق والغرب أوّلاً، وجوب الابتعاد عن النّظريّات كما نبتعد عن النّار. محاولة رؤية الأمور كما هي عليه، وفي الواقع الأمور أكثر تركيبًا واندماجًا وانسلاخًا وتنافرًا وتناغمًا، ففي مصر يمكننا على سبيل المثال أن نجدَ الجانب الإيجابيّ الذي خلّفته الكولونياليّة، مثل دور الكتب الفرنسيّة، أمور تزرع الأمل والأحلام، مثلما أرى الجانب القبيح لهذه العمليّة. في نهاية المطاف تسأل نفسك، على الرّغم من أنني لا أدّعي أنّ الكولونياليّة جيّدة، هل حقًّا كان يجب التّعامل مع هذه الظّاهرة بهذه الطّريقة؟ كلّ فكرة الحريّة القوميّة والدّولة، جاءَت من الغرب، ومن هنا، هل كان يتوجّب على الشّرق تقبّل الكولونياليّة لكي يتغلّب على الكولونياليّة؟ في القرن الحادي والعشرين نملك الحقّ والصّلاحيّة في ألاّ نتبنّى نظريّة «إمّا أن وإمّا أن». يتوجّب اتّخاذ الحيطة والحذر حينما نتعامل مع النّظريّات ومع وجهات النّظر المطلقة. علمنة تركيا على سبيل المثال، تثبت أنّه لا يمكن هندسة البشر، ففي نهاية المطاف سيعود الناس إلى ما يريدون، من هنا لا أوافق أنّ تركيا تمرّ بمرحلة أَسْلَمَة، وإنّما تلك القشرة التي وضعتها الدّولة عبر العلمنة، باتت تتقشّر وتذوي لتكشف عن تركيا الحقيقيّة، كما تريد هي أن تكون. لا أرى أيّ فرق بين ما كان في تركيا قبل أتاتورك وبعده، وبسبب فرض العلمنة نجد الغضب يتملّك الأتراك الذين يحاولون الكفر بما فُرِضَ عليهم.

قضايا إسرائيلية: كيف تعتقد أنّ المجتمع الإسرائيليّ يتقبّل ما تكتبه وما تنتقده، أم أنّ الأمر لا يهمّك؟

تسيفر: لا أجد اعتراضًا متطرّفًا عليّ، يوجد ميل كبير لمهاجمتي حينما أكتب مديحًا لما أحبّه من الثّقافة العربيّة، كمثل كتاباتي عن زياراتي للأردن، مصر وغيرها، حيث ألتقي هناك بأناس أثرى وأغنى ثقافيًّا من الإسرائيليّين، الأمر الذي يثير حنق الإسرائيليّين بالطّبع، لأتلقّى جملاً مثل «اذهب إلى مصر، إلى سورة...». بشكل عامّ غالبيّة ردود الفعل التي أتلقّاها هي ردود فعل تقديريّة لي ولكتابتي، حيث أنّ هؤلاء المقدّرين يشكرونني على كسري الحائط وفتح إمكانيّة تفكير أُخرى لم تخطر ببالهم، هكذا أظنّ. **أنا ضدّ الأرثوذكسيّة من كافّة الأطراف والأطياف،** وهذا ما يثير غضب الكثيرين. مثال على ذلك، هو الموقف الرّاجح الذي يطالب مثليّي الجنس بأن يكونوا مثليّي الجنس بكلّ ما أوتوا من قوّة، فلا «حقّ» لهم في أن يكونوا مثليّين ومحافظين، مستترين أو ما شابَهَ ذلك، هذا المطلب شبيه بالضّبط بمطالبة اليهوديّة بعدم الاندماج في الآخر، الأمر الذي يمنع زواج يهوديّ من مسلمة، من ذات المنطلق. لا يمكنك تبنّي حريّة الأُمَم في الوقت الذي تفرض فيه عبوديّة جنسيّة باسم الحريّة الجنسيّة. أليس كذلك؟

قضايا إسرائيلية: كمحرّر لملحق يُعْتَبَرُ من أهمّ المنابر الثّقافيّة–السّياسيّة في إسرائيل، كيف يمكنك تقسيم التّيّارات الثّقافيّة–الفكريّة–الأدبيّة القائمة في إسرائيل اليوم؟

تسيفر: كما في السّياسة، الثّقافة في إسرائيل تنقسم إلى مجالين مركزيّين كبيرين، الأوّل هو تيّار الثّقافة الرّسميّ الذي يؤمن أن وظيفة الفنّان، الكاتب، الشّاعر، الرّسام وإلخ هي خدمة الدّولة والمجتمع، حتّى عبر التّجنّد لهذا الهدف، وفي هذه الدّائرة نجد كتّابًا من أمثال عاموس عوز، دافيد غروسمان، أ. ب. يهوشواع، الذين صاروا شخصيّات قوميّة. جدير بالذّكر أنّ الثّقافة الإسرائيليّة عَانَت كثيراً من هذا المفهوم الذي يفرض على رجالات الثّقافة والأدب المساهمة في الدّولة والمجتمع وإفادتهما، وإلاّ فلماذا هم موجودون؟ وبالمقابل، يمنحهم المجتمع الاحترام والتّقدير وهذا هو المقابل الذي يتلقّونه. وهذا هو التّيّار المركزيّ. وحينما يطلقون كلمة «مهمّ» على كاتب معيّن، يقصدون بالضّبط مدى مساهمته في بناء الدّولة ومؤسّساتها الاجتماعيّة. يصبو جميع أفراد هذه الفئة للانتساب إلى التّيّار الرّئيسيّ(Mainstream) .

التّيّار الثّاني، وهو التّيّار الأقلّ مركزيّة، تيّار الثّقافة غير المركزيّة أو الهامشيّة، التي لا تريد بتاتًا أن تنتسب إلى التّيّار المركزيّ، ولا تريد أن تساهم ببناء أيّة مؤسّسة أو قيمة. هذا التّيّار يريد الهامش، لأنّه لا يريد الخضوع للمجتمع ولا لمعاييره. وهنا يمكنني أن أذكر الأديبين يهوشواع كْنَاز ويشعياهو كورين، اللذين على الرّغم من أهميّتهما الأدبيّة الرّاقية، وعلى الرّغم من مجايلتهما لأهمّ كتّاب التّيار الرّئيسيّ في الأدب والثّقافة العبريّة المعاصرة (سنوات السّتينيات – يهوشواع وعوز) إلاّ أنّهما أقصيا نفسيهما عن هذه اللعبة. يكتبون كتابة واقعيّة لا تبتغي الوصول إلى تجريدات يمكننا أن ندرس عبرها عن "المفهوم الوطنيّ–الاجتماعيّ" من نصوصهما. هؤلاء يكتبون أدبًا خالصًا، عن النّاس، عن البسطاء. شكّل هذان الكاتبان نوعًا من المعارضة للفئة المركزيّة. من الجيل الشّاب أكثر، يمكنني أن أذكر دُورِي مَنُورْ وجماعته (مجلّة **هُوْ!**)، التي تريد تغيير العالم عبر الأدب وليس عبر السّياسة.

قضايا إسرائيلية: ما الفرق بين الإسرائيليّة اليوم وبين ما كانته أو حاولته قبل عدّة عقود؟

تسيفر: في السّابق سَعَت الإسرائيليّة إلى نوع من الوِحْدَة الفكريّة والعمليّة. بعد حرب ٦٧ باشرت الانقسامات والتّعدديّة بمفهوم ما، إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من أدب وثقافة تُكْتَبُ هنا والآن وتنتسب إلى أكثر من فئة: أدب نسويّ، أدب مستوطنين، أدب الكيبوتس، أدب الأقليّات، أدب عربيّ، أدب عربيّ بالعبريّة، أدب عربيّ بالعربيّة في إسرائيل، أدب روسي، أدب روسيّ عبريّ، أدب روسيّ روسيّ يُكْتَبُ في إسرائيل. هذه حقيقة، وليست تقييما يحمل صفة ايجابيّ أو سلبيّ، بل وصف لواقع. وصلت الثّقافة الإسرائيليّة إلى انفجار بتنويعاتها، والخطر الدّاهم هو من الأُسلوبيّة النّمطيّة (Mannerism) وذلك حينما يواصل الكاتب حياكَةَ كتاباته بذات الأُسلوب المصطنع والمفتعل، بغية أن يصير «ناطقًا باسم» جماعته.